

## تداولية أفعال الكلام في البنى الخبرية في الخطب النبوية

علي خالد متروك العظامات

### الملخص

حققت التداولية نجاحًا في البحث اللساني الحديث، إذ لا يمكن إنكاره، وقد تطرق علماء العرب للتداولية منذ القدم بما يُعرف بنظرية الخبر والإنشاء، ثم تناولوا جميع مجالاتها. وتتكيء التداولية في دراستها للغة على محاورٍ منها: "الافتراض، الإشارة، والاستلزام، وأفعال الكلام" وتعد أفعال الكلام المبحث الأساسي في التداولية، وخير ما يجسد هذا البحث نجده في الخطب النبوية بعد القرآن الكريم التي جاءت لإرشاد الناس ووعظهم، ونصحهم، وإقناعهم، وذلك بالاعتماد على عنصر التبليغ للتأثير في نفوس الناس. وقد وقع الاختيار على أن يكون عنوان البحث هو "تداولية أفعال الكلام في الجملة الخبرية في الخطب النبوية". وتكمن أهمية هذا الموضوع في الكشف عن الأفعال الكلامية في الخطب النبوية وفق تصنيفات سيرل.  
**الكلمات المفتاحية:** (استلزام منطقي، الفعل الكلامي، السياق، التداولية)

### Abstract

The deliberative achieved success in modern linguistic research, as it is undeniable, and Arab scholars have touched on deliberation since ancient times in what is known as the theory of news and creation, then they covered all its fields. In deliberative discussion of language depends on axes, including: "presumption, reference, obligation, and verbs of speech." The verbs of speech are considered the main topic in deliberation, and the best thing that embodies this topic is the we find prophetic speeches after the Holy Qur'an that came to guide people and preach, advise, and persuade them, by relying On the element of reporting to influence the hearts of people. It was chosen that the title of the research be "the circulation of the verbs of speech in the news sentence in the prophetic sermons." The importance of this topic lies in revealing verbal actions in prophetic speeches according to Searle's classifications.

**Key words:** (logical obligation, verbal action, context, deliberative)

## تداولية أفعال الكلام التقديرية "في خطب النبي عليه السلام"

### أفعال الكلام:

تمثل الأفعال الكلامية أهم نظرية في المفهوم التداولي، إذ ولدت من رحم الفلسفة والمنطق، وتعدّ هذه النظرية من أهم محاور التداولية الحديثة، فهي مبحث أساسي لدراسة مقاصد المتكلم ونواياه، فالمقصد يحدد هدف المرسل من وراء سلسلة الأفعال اللغوية التي يتلفظ بها، وهذا ما يساعد المتلقي على فهم ما أرسل إليه، ومن ثم يصبح توفر المقصد والنية مطلبًا أساسيًا، وشرطًا من شروط نجاح الفعل اللغوي الذي يجب أن يكون متحققًا ودالًا على معنى (1).

ويعد علم المعاني أحد علوم البلاغة والثلاث المعروفة (البيان والمعاني والبديع) وقد عزّفه البلاغيون بقولهم: "هو علم يُعرف به أحوال اللفظ والكلام العربي التي بها يطابق مقتضى الحال" (2). وهو يهتم بدراسة طبيعة الألفاظ اللغوية العربية التي تطابق مع الحال المرتبطة به. وبذلك تختلف طبيعة اللفظ مع اختلاف الحال. ويهتم هذا العلم باللفظ من حيث فائدته في المعنى، أي مع الغرض الذي يدل عليه في سياق النص. ومن موضوعات علم المعاني الخبر والإنشاء، وتنقسم الجملة عند البلاغيين العرب إلى قسمين: الخبر والإنشاء.

### الجملة الخبرية:

يُعد كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - من أبلغ الكلام، ويرقى إلى أعلى درجات الكمال البشري في حسن التأني للمعاني بأدق ما يمكن أن تؤديه المفردات والجمل من دلالات ومعاني لها قدرة كبيرة على التأثير البالغ في النفوس الذي لا تذهب عجائبه ورونقه بتقادم العهد، وكثرة الترداد. فالرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يقول الحديث سليقة وإلهامًا من الله عزّ وجلّ سليماً مما يعتري كلام البشرية من خلل ولحن أو اضطراب. وقد وصف الجاحظ بلاغة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقوله: "وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة ونزّه عن التكلف... واستعمل المبسوط في مواضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي... وهو الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والجلادة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام" (3). وقد نشأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - في قوم لهم في البلاغة والفصاحة قِدم كبير، فلا بدّ أن يكون الرسول - عليه أفضل الصلاة - المرسل إليهم أفضلهم بيانًا وأقدرهم على القول الفصيح، وأبعدهم عن عيوب الكلام زللًا واضطرابًا واستكراهًا "فليس إلّا أن يكون ما خصّ به النبي - عليه السلام - في ذلك قد كان توفيقًا وإلهامًا من الله عزّ وجلّ، أو ما هذه سبيله" (4).

(1) بوقرة، نعمان، نحو نظرية لسانية للأفعال الكلامية قراءات استكشافية للتفكير التداولي في المدونه اللسانية التراثية، مجله اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع17، 2006، ص 17.

(2) الفزويني، الخطيب جلال الدين، الأيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (د.ت)، ص 52.

(3) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح، عبدالسلام هارون، مؤسسة الخانجي القاهرة، ط3، (د.ت) ح2، ص 17.

(4) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ضبط وتحقيق: محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة - مصر، 1945، ص 316.

وبما أن القرآن الكريم يجري على سنن العرب كذلك الأمر الحديث النبوي الشريف يجري على سنن العرب في كلامها بحفوله بالأساليب والفنون العربية التي تأتي في البيان النبوي كما في القرآن الكريم على الصورة التي تتساقق فيها الفكرة مع الفن التعبيري على أدق وجه، والملاحظ أن كل لفظة أو جملة أو فقرة لا تجدها تخرج عن مكانها، ولا تستبدل بها غيرها لتكون لها دلالة وأشد إحكامًا...

وتشتمل على كثير من المضامين الفكرية والإرشادية والوعظية للمسلمين بشكل خاص وللبشرية بشكل عام، وهي تحمل في مضامينها أفكارًا تهتم المجتمع الإسلامي والدين الإسلامي.

فيعدّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - أخطب العرب كافة وأبلغهم قولًا، وكما تعدّ خطبه من أنواع النثر الفني البليغ، فخطبه لم تكن مواضع فحسب، بل كانت تشريعًا وتنظيمًا لحياة الأمة الإسلامية. فخطب الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأحاديثه من قول أو فعل أو تقرير تمثل أبرز موروث على جانب الفن القولي لا سيما الفن النثري، فخطبه نوع من انواع الفن النثري الذي ازدهر وانتشر بفضل الإسلام وتعاليمه وأفكاره.

والأحاديث النبوية هي كلام الرسول - عليه السلام - والخطب جزءًا من هذه الأحاديث، ونستدل

على الخطب عن طريق قرائن تدل على أنها خطبة الرسول - عليه السلام - وهذه القرائن هي:

- خطبنا رسول الله.
- وصعد المنبر.
- وركب راحلته.
- فحمد الله وأثنى عليه.
- وقام بالناس خطيبًا.

## التداولية اصطلاحًا

التداولية عند بلانشيه هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية، وهي أيضًا الدراسة التي تهتم باستعمال اللغة، ما تهتم بقضية التلاوم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحديثية والبشرية (5). ويرى فان دايك بأن التداولية علم يختص بتحليل الأفعال الكلامية، والمنطوقات اللغوية وسماتها ضمن عمليات الاتصال والتفاعل (6).

ومصطلح التداولية ينسب أول استعمال له عند الفيلسوف الأمريكي شارل موريس وكان في سنة 1938م، وتمثل التداولية، حسب رأيه إحدى نواح ثلاثة يمكن معالجة اللغة من خلالها، وهي (7).

1- علم التراكيب: ويعني ارتباط العلامات فيما بينها.  
2- علم الدلالة: وهي تهتم بدراسة العلامات في علاقتها بالواقع، أو دراسة علاقة العلامات بالأشياء، والموجودات التي تدل عليها.

3- التداولية: وهي ارتباط العلامات بمسئوليتها، بظروف استعمالها وبآثار هذا الاستعمال على البنى اللغوية. وهذه الفروع عند التداوليات عند موريس، تنبئنا بمدى وفاء التصور للنظام اللساني، وتدرج فكرة موريس ضمن السيميائيات الأمريكية لتجسد وجودًا مكتملاً ومستقلًا مع أنصار اتجاه التداوليات المندمجة (8). والتداولية عند جورج يول هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم (9).

والتداولية عند إيليوار هي: "إطار معرفي يجمع مجموعة من المقاربات تشترك عند معالجتها للقضايا اللغوية في الاهتمام بثلاثة معطيات لما لها من دور فعّال في توجيه التبادل الكلامي، وهي: المتكلمين (المخاطب والمخاطب).  
\*السياق (الحال، المقام).

\*الاستعمالات العادية، أي الاستعمال اليومي والعادي للغة في الواقع" (10).  
ومن جهة أخرى أورد جيني توماس ثلاثة تعريفات للتداولية فقد رأى في التعريف الأول أن التداولية هو المعنى الذي يريده المتكلم، ويكون بذلك للمعنى مستويان وهما: المعنى المنطوق والقصدية من ورائه، ويتمثل التعريف الثاني للتداولية حول تفسير المنطوق، وهنا يكون التركيز على الطريقة التي يسعى السامع إلى تفسير معين، دون النظر في الاعتبار للقيود الاجتماعية على إنتاج المنطوق، أما التعريف الأخير فيتمثل في المعنى في

(5) بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، 2007م، ص18.

(6) ينظر: دايك، فان، علم النص مدخل متداخل، ترجمة: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، 2001م، ص114.

(7) ينظر: الصبيحي، محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م، ص48.

(8) ينظر: بلقندور، هوارى، أطروحة دكتوراه في اللسانيات، التداوليات النصية مقارنة في فهم الخطاب وتأويله، جامعة وهران، الجزائر، 2009م، ص17.

(9) ينظر: يول، جورج، التداولية، ترجمة: قصي العتابي، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2010م، ص19.

(10) نقلًا عن الإبراهيمي، حولة طالب، مبادئ في اللسانيات، دار القصبية للنشر، الجزائر، ط2، 2006م، ص176.

لغة الحوار، وهنا المعنى لا يظهر في الكلمات فقط، ولا ينتج من المتكلم وحده والسامع، بل المعنى عملية ديناميكية فعالة تقتضي تداول المعنى بين المتكلم والسامع والسياق الذي قيل فيه المنطوق (11).

والتداولية عند صحراوي هي اللسانيات، ومن هذا المنظور يجب البحث في صلة هذا العلم التداولي التواصل باللسانيات، ولغير اللسانيات من الحقول المعرفية الأخرى التي يشترك معها في بعض الأسس المعرفية، سواء أكانت نظرية أم تطبيقية، قبل البدء بوضع تعريف للتداولية، أو تحديد مفهومها، وبعد ذلك التساؤل عن المعيار الذي يكون أساساً في تحديد مفهومها، فعلى أي معيار يتمدد هذا المفهوم؟ وهل يتحدد بناءً على معيار البنية اللغوية وحدها؟ أسئلة كثيرة حول المعيار الذي يتحدد من خلاله مفهوم التداولية لا يوجد لها جواب... ولكن معظم الدارسين يقر بأن التداولية هي إيجاد مجموعة من القوانين للاستعمال اللغوي، ومعرفة القدرات الإنسانية التي تؤدي إلى التواصل اللغوي وتعيد التداولية، فهي أقرب إلى تسميتها علم الاستعمال اللغوي (12).

أما الشهري فيرى أن التداولية اكتسبت عدداً من التعريفات، وفق مجال الباحث نفسه، فقد يقتصر الباحث على دراسة المعنى في سياق التواصل، وقد يعرفها انطلاقاً من اهتمامه بتحديد مراجع الألفاظ، وبيان دورها في تكوين الخطاب، ومعناه وقوته الإنجازية، وقد تعرف التداولية من وجهة نظر المرسل بأنها الكيفية التي يتم فيها إدراك المعايير والمبادئ التي تقوم بتوجيهه عند إنتاج الخطاب، ومن ذلك استعمال الجوانب اللغوية في ضوء عناصر السياق (13).

ويمكن القول بأن التداولية بمفهومها العام عند الشهري عبارة عن عملية التواصل اللغوي التي تستخدم في

السياق.

#### أهمية التداولية:

تقوم التداولية على دراسة استعمال اللغة عوضاً عن دراسة اللغة، فاللسانيات تختص بدراسة المستويات الصوتية والتركيبية، والدلالية، فهي عند البنيويين علم تجريدي مغلق ذو إجراءات داخلية خالصة، بينما دراسة استعمال اللغة لا تنحصر في الكينونة اللغوي بمعناها البنيوي الضيق، بل يتجاوزها إلى الاستعمال في الطبقات المقامية المختلفة وذلك حسب أغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين، وتعمل التداولية على دراسة الآليات المعرفية التي تعد أصل معالجة الملفوظات وفهمها، فتقيم التداولية روابط قوية بين اللغة والإدراك عن طريق بعض المباحث في علم النفس، ومن مهام التداولية دراسة الوجود الاستدلالية للتواصل الشفوي، فتقيم روابط وشيجة بين علمي اللغة والتواصل (14).

#### السياق اصطلاحاً:

تنوعت مفاهيم السياق في البحوث اللغوية الحديثة لدى الدارسين، فمنهم من ربطه بالمحيط اللغوي أو اللفظة أو الجملة، ومنهم من تعدى فواصله بالوسط الخارجي ككل، والسياق من الأركان التي لا يمكن تجاهلها في التحليل اللغوي، وتزداد أهميته أكثر في مباحث النظرية التداولية.

يقول ستيفن أولمان: " كلمة السياق Context قد استعملت حديثاً في معاني مختلفة، والمعنى الوحيد الذي يهم مشكلتنا في الحقيقة هو معناه التقليدي أي: (النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم)، بأوسع معاني

(11) ينظر: توماس، جيني، المعنى في لغة الحوار مدخل إلى البراجماتية (التداولية)، ترجمة: نازك إبراهيم عبد الفتاح، دار الزهراء، الرياض، ط1، 2010م، ص40-41.

(12) ينظر: صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م، ص15-16.

(13) ينظر: الشهري، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1993م، ص22.

هذه العبارة، إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب؛ بل والقطعة كلها والكتاب كله". (15).

قد ورد تعريف السياق في معجم المصطلحات الأدبية بأنه بناء نصي كامل يتألف من فقرات متماسكة، سيكون التماسك في علاقة النص بأي جزء من أجزائه، أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة، وعادة ما يكون سياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط مما يلقي ضوءاً على معنى الفقرة وغاياتها بأكملها، دون الاكتفاء في معاني الكلمات، وكثيراً ما يغير المحيط الذي تتواجد فيه العبارة المعنى الذي كان واضحاً في العبارة، أو يعمل على توسيعه وتعديله (16).

والسياق في المعاجم اللغوية هو مصاحبة اللفظ من أجل توضيح المعنى (17).

والسياق بالمصطلح العام عند الشهري هو عبارة عن التتابعات اللغوية التي تتشكل في الخطاب، من وحدات صوتية وصرفية ومعجمية، وما يدور بينها من ترتيب وعلاقات تركيبية (18).  
والسياق عند فان دايك: " متوالية من أحوال اللفظ، وفضلاً عن ذلك، لا تظل المواقف متماثلة في الزمان، وإنما تتغير. وعلى ذلك فكل سياق هو عبارة عن اتجاه مجرى الأحداث، وقد يكون اتجاه الأحداث دالاً على حالة ابتدائية وأحوال وسطى وحالة نهائية" (19).

وميز الدارسون بين موضوع السياق والمقام، حيث رأى الكثير منهم أنهما بمدلول واحد، فقد عرفوا المقام بقولهم: هو مجموعة من العوامل التي يتعين على الفرد الاحتقال بها حتى يتمكن من إنجاز فعله اللغوي، ومن عناصره: المشاركون في التبليغ، ومكان التفاعل، والقول، ومقاصد المتكلمين... ويتحدد في مجموعة الشروط الاجتماعية والتاريخية والعوامل غير اللسانية التي بمقتضاها يتم تكوين عبارات في زمان ومكان ما، فهذا المفهوم يرتبط بالموضوع بشكل مباشر أو الفعل اللغوي، أو الوضع العام المرتبط بالكلام، فإن غيبت عناصره، لا يكون كلاماً (20).

فالعلاقة بين السياق والمقام هي علاقة تكامل، حيث يستطيع المقام أن يقوم بإزالة الإبهام عن الجملة، ولكن يبقى السياق ذو مفهوم لساني، أما المقام فهو وضعي غير لساني، وهناك دمج في المفهوم اللساني وغير اللساني، فسياق المقام أو سياق الموقف الاتصالي، يختلف مدلوله عن مدلول السياق لسانياً (21)، إضافة إلى مهام الوظائف التداولية مرتبطة بالسياق والمقام معاً، وبمدى إنجازيتها في التواصل، وذلك بتحديد وضعية مكونات الجملة في النظر إلى البنية الإخبارية والمعلوماتية، وذلك في علاقة الجملة بالطبقات المقامية التي تتجزأ فيها (22).

(14) صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص28.

(15) أولمان، ستيفين، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، (د.ط)، 1975م، ص57.

(16) فتحي، إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، التعاقدية العمالية، صفاقس، تونس، ط1، 1986م، ص201.

(17) أبو الفرج، محمد أحمد، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية، (د.ط)، 1996م، ص5.

(18) ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004م، ص40.

(19) فان دايك، النص والسياق، ص258.

(20) بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009م، ص116.

(21) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(22) ينظر: بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص119.

ويعد السياق من أهم العوامل التي تسهم في تحديد المعنى، حيث تبرز أهميته في توضيح معنى الكلمة المتعددة المعاني إلى معنى واحد، وقد تناول هذه القضية سيوييه في أول كتابه المعنون (هذا باب اللفظ للمعاني، حيث يقول: " اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من الموجودة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة. وأشباه هذا كثير " (23).

### نظرية السياق

لقد عرفت مدرسة لندن بالمنهج السياقي Contextual Approach أو ما يسمى بالمنهج العملي Operational Approach، وزعيم هذا الاتجاه Firth والذي وضع تأكيدًا كبيرًا على الوظيفية الاجتماعية للغة، وقد ضم هذا الاتجاه أسماء كثيرة مثل: Halliday, Mc Intosh, Sinclair, Mitchell، وتعد نظرية السياق الحجر الأساسي في المدرسة اللغوية الاجتماعية، وقد قام فيرث المؤسس لهذه المدرسة بمعالجة جميع الظروف اللغوية لتحديد المعنى، وقد صرح فيرث بأن المعنى لا يتم إلا بتسييق الوحدة اللغوية، أي أن توضع في سياقات مختلفة (24)، فالمعنى هو حصيلة استعمال الكلمة في اللغة عند وضعها في سياقات مختلفة (25).

ويؤكد الكلام السابق أنّ الكلمة المفردة ليس لها معنى، ويتحقق معناها إذا جاءت في جملة ما. وقد اهتم الباحثون بالنظرية السياقية، وكان لها دعاة ومؤيدون، وقاموا بوضع القواعد والأصول لها. فتمكن أصحاب نظرية السياق بدراسة معنى الكلمة متجاوزين بذلك أصل الدلالة وطبيعة العلاقة بين الدال والمدلول، حيث اهتموا بالدور الذي تؤديه الكلمات في السياق والطريقة التي تستعمل بها، وعليه عُرف المعنى بأنه حصيلة استعمال الكلمة في اللغة عند وضعها في سياقات متعددة، فالدارس المعجمي -على رأي أولمان - يلاحظ كل كلمة في سياقها كما ترد في النص المكتوب، ثم يستخلص العامل المشترك العام ويقوم بتسجيله على أنه المعنى أو المعاني المرتبطة بالكلمة (26).

هذا يؤكد بأن دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلًا للسياقات والمواقف التي ترد فيها، ومعنى الكلمة يتغير تبعًا لتعدد السياقات التي تقع فيها، أو يتغير تبعًا لتوزعها اللغوي (27).

### السياق ونص الخطبة النبوية

لقد اهتم الأصوليون واللغويون والمفسرون واللسانيون بالسياق الذي يؤدي إلى استيعاب المعنى، وقد وردت ظاهرة السياق اللغوية عند معظم الباحثين في التراث العربي الإسلامي القديم تحت مصطلحات متعددة، فقد وردت بلفظة السياق، وبألفاظ أخرى مثل: الموضع، والمساق، والاتساق، وسوق الكلام، ومقتضى الحال، والتأليف، فهي كلها بمعنى السياق (28).

(23) سيوييه، الكتاب تح: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م، ص24.

(24) ينظر: عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1985م، ص68.

(25) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(26) ينظر: عمر، علم الدلالة، ص69.

(27) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(28) ينظر: أصبان، إبراهيم، السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة، مجلة الإحياء، ص53.

وقبل أن نخوض في السياق ونص الخطب النبوية، فلا بد أن نلفت نظر القارئ إلى أنّ الخطب النبوية ليست بمعزل عن الأحاديث النبوية، بل هي جزء منها، ولكن الخطب النبوية تنفرد عن الأحاديث بقرائن معينة مما جعلها تأخذ تسميه خاصة بها، ومن هذه القرائن التي تمتاز بها قيام الرسول - صلى الله عليه وسلم - بجمع الناس والنداء فيهم<sup>(29)</sup>. من أجل حثهم على عمل شيء ما، أو الابتعاد عنه وتجنبه، ومن القرائن أيضا صعود الرسول المنبر<sup>(30)</sup>، وورود لفظة الخطبة في رواية الحديث<sup>(31)</sup>.

اهتمت الدراسات الدلالية بالسياق فهو أداة إجرائية في تحديد المعنى، ويأخذ مسارًا كبيرًا في الدراسات التداولية التي استطاع أصحابها تجاوز الإطار اللغوي المحض إلى السياق الاجتماعي والنفسي والثقافي، فالمجالات التي يتناولها السياق متنوعة، وتتوزع في فضاءات معرفية كثيرة، فمنها ما يرتبط بالمتكلم والمتلقي وشروط الإنتاج اللغوي والزمان والمكان وغير ذلك<sup>(32)</sup>.

ويحرك السياق التركيب بقوة، فيستطيع أن يبعث إشعاعاته ما يلائم، وبذلك تتجه نحو معنى مصقول بفضل محددات داخلية تحكم الانبثاق، وتقليل من تفرع المعاني، فيصبح ما يقرره السياق هو مبدأ في الجملة أو خارجها، فعندما نقول: فتاة لطيفة، فإننا نقرر قضية واحدة، أما عندما نقول: إنك فتاة لطيفة تطيعين أمك، فنحن نقرر قضيتين: إذا أطعت أمك فإنك فتاة لطيفة، فالوظيفة السياقية للخطاب هي عبارة عن حجب تعدد المعاني في الكلمات، وتقليل الاستقطاب من التأويلات<sup>(33)</sup>.

وهناك أمثلة توضح لنا أثر السياق اللغوي في ضبط متغيرات الدلالات التي يفرزها موقف لغوي متشابه اللفظ حسب محكمات السياق، ومن ذلك في كلمة يد التي تستخدم في سياقات متعددة، مثل: أعطيته مالا عن ظهر يد، فتعني كلمة يد تفضلاً ليس من بيع ولا قرض، وهم يد من سواهم: فالمعنى إذا كان أمرهم واحد، ويد الفأس: أي مقبضها، ويد الريح: سلطانها، ويد الطائر: جناحاه، وبباعته يدًا بيد: نقدًا، وثوب قصير اليد: إذا كان هذا الثوب قصيرًا لا يتغطى به<sup>(34)</sup>.

وللسياق أهمية كبيرة في الخطب النبوية إذ يؤدي إلى معرفة مراد المتكلم عن طريق الفهم الصحيح للنصوص.

وقد نبّه ابن القيم من عدم فهم كلام النبي -عليه السلام- يؤدي إلى الضلالة بقوله: "ينبغي أن يفهم عن الرسول مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يُحمّل كلامه مالا يحتمله، ولا يقصد به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان، وقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال عن الصواب مالا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعه وضلالة نشأت في الإسلام، بل أصل كل خطأ في الأصول والفروع، ولا سيما

<sup>(29)</sup> ينظر: البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، 2002م،

كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم، ج7، رقم 5066، ص3

<sup>(30)</sup> ينظر: مسلم، الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،

1954م، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، ج3، رقم 1917، ص 1522.

<sup>(31)</sup> ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء، رقم 600، ص 152.

<sup>(32)</sup> ينظر: أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2000م، ص16-17.

<sup>(33)</sup> ينظر: الشبيدي، فاطمة، المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، دار نينوي، دمشق، (د.ط.)،

2011م، ص27.

<sup>(34)</sup> ينظر: الشبيدي، المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، ص27-29.

إذا أضيف إليه سوء القصد، فيتفق سوء الفهم في بعض الأشياء من المتنوع من حسب قصده، وسوء القصد من التابع<sup>(35)</sup>.

لا شك في أن كلام النبي بليغ يهدف إلى تحقيق غاية التأثير والإقناع، ولكن هذه الغاية تتحول إلى وسيلة هدفها المضمونية التعليمية التربوية التشريعية، فتتحول هذه الغاية إلى منجز فعلي في السلوك البشري للمستهدفين بالخطاب، والتأثير يخاطب القلب والوجدان أي يخاطب إنسانية الإنسان وضميره، والمشاعر المختلفة كالخوف والحذر والإشفاق وغيرها، أما ما يتعلق بالإقناع فيخاطب في الإنسان عقله الواعي الذي يختبر الفكرة، فعند الاقتناع بها استقرت يقيناً، وبذلك تتشكل ملامح بلاغة أحاديث النبي وخطبه في تتبع الأساليب المنتجة لدلالة الأمر والنهي، فالأمر والنهي هما سبيل تحقيق هذه الغايات، وكما يتشكلان هذان الأسلوبان في أشكال متعددة من الأساليب المتضمنة لدلالاتهما في أساليب خبرية وإنشائية أخرى، وتمثل هذه الأساليب الصريحة والدلالات الضمنية قدرًا كبيرًا من التشكيلات الأسلوبية، وتتطوي على قدر هائل من دلالات الأمر والنهي<sup>(36)</sup>.

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يخاطب الناس بمقتضى اللغة العربية ويحيلهم إلى أسلوبها، وقد اعتمد الرسول الكريم الاستدلال بالسياق كمنهج في التفسير وإزالة الإبهام في كثير من القضايا الشرعية، وكما اعتمده المفسرون من بعده اقتداءً به، وكل ذلك يؤكد أن هذه المنهجية لم تكن من صنيع الشافعي، ولا وليد لحظته، بل انبثقت من الهدي النبوي في التفسير، وعندما نأتي إلى علم الدلالة المعتمد في الاستدلال والعمدة في التعامل مع النصوص - علم أصول الفقه - نجد بأن السياق أصل من أصوله، وقاعدة من قواعده، والإمام الشافعي هو أول من أفرد علم الأصول بالتفسير حيث قام ببيان دلالة السياق وبينها، وأكد على أهمية مراعاتها أثناء ممارسة العملية التأويلية أو الاجتهادية، فتناول البيان وما يقع به وبين الدلالات وأنواعها، ثم ذكر منها العام والظاهر، وبعد ذلك عقد بابًا خاصًا<sup>(37)</sup>. عنوانه باسم (باب الصنف الذي يبين سياقه معناه)<sup>(38)</sup>. ويتضح هذا الصنف في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة\* إذ يعدون في السبت\* إذ تأتئهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبثون لا تأتئهم\* كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾<sup>(39)</sup>، ابتداءً جلّ جلاله نكر الأمر بالسؤال عن القرية الحاضرة البحر، فعندما قال تبارك وتعالى: ﴿إذ يعدون في السبت﴾ تبين أنه أراد أهل القرية؛ لأن القرية بذاتها لا تكون بالعدوان في السبت ولا غيره، وإنما أراد بالعدوان من سكن القرية الذين بلاهم الله بسبب عصيانهم الله وفسقهم<sup>(40)</sup>.

وكان الرسول الكريم أفصح العرب قاطبة، فلا يتكلف القول، ولا يعمد إلى زخرفة القول وتزيينه، ولا يستخدم وسيلة من وسائل الصنعة، فأسلوبه رائع في الكلام بحيث لا يجد فيه إلا المعاني التي هي إلهام النبوة، ونتاج الحكمة، وغاية العقل، ويصف الجاحظ كلامه بأنه قليل العدد ولكنه يحمل المعاني الكثيرة، ويبتعد عن التكلف، يستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصود في موضع القصر، ويهجر الكلام الغريب الوحشي، فلا

<sup>(35)</sup> الجوزية، ابن قيم، كتاب الروح، تح: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار علم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1432هـ، م1، ص184.

<sup>(36)</sup> ينظر: بليغ، عيد، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، ط1، 2008م، ص215-216.

<sup>(37)</sup> ينظر: مركز سلف للبحوث والدراسات، أوراق علمية33، دلالة السياق مفهومها، الاستدلال بها، الطلبة، الحضرمي أحمد، ص12.

<sup>(38)</sup> ينظر: الشافعي، محمد إدريس، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، مطبعة الباني الحلبي، مصر، ط1، 1938م، ص62.

<sup>(39)</sup> سورة الأعراف، 7، آية 163.

<sup>(40)</sup> ينظر: الشافعي، الرسالة، ص62-63.

يتكلم إلا بكلام قد حُف بالعصمة، وشد بالتأييد، ويسر بالتوفيق، فهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه، وفيه من المهابة والحلاوة، فإذا نطق المصطفى في خطبه لا يستطيع أن يفجمه خطيب، يبدأ الخطب الطوال بالكلام القصير، ولا يلتبس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، فاحتجابه بالصدق، ولا يطلب الفوز إلا بالحق، ولا يقوم بالهمز واللمز، فلم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعًا ولا أصدق لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح عن معناه من كلامه عليه السلام. (41).

ويمكن القول أنّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - جمع الفصاحة والبيان ووضوح اللغة في كلامه، فلا يتمكن أحد في مجاراته بإسلوبه في الحجة والبرهان والإقناع.

وقد استطاع الرسول الكريم أن ينطق اللغة نطقًا سليماً، بفضل الوحي جبريل الذي كان يأتي إليه، ويعلمه كيفية النطق والقراءة المتأنية التي تحافظ على مخارج الأصوات وصفاتها، ولم يقف الاستخدام اللغوي الصحيح عند نطقه وحده - صلى الله عليه وسلم - بل نقله إلى أصحابه؛ ليعلمهم كيفية الاستخدام اللغوي الصحيح، وبخاصة في نطق القرآن الكريم، حيث كان يأمر بعض أصحابه أن يقرأوا القرآن، فيستمع لهم ويصوّب أخطأهم (42).

وقد كان للرسول جلسات مع الصحابة يوميًا للتعليم والتلقين والمدارسة، يديرها الرسول الكريم ويحضرها من يشاء للمعرفة والسؤال، ويتعلم هؤلاء الجالسين كيفية الحوار اللغوي والاستخدام الصحيح للغة (43).

وعمل الرسول - صلى الله عليه وسلم - في خطبه على لغة مسترسلة تحمل رؤية متكاملة بحيث لا يستقل فيها الشكل عن المضمون، فاعتمد في خطبه على مبدأ التواصل، واستخدام اللغة استخدامًا سليماً، تحقق الفهم لدى المخاطبين، بحسب اختلاف أحوالهم ومقاماتهم، فجعل لكل طبقة كلامًا خاصًا بها، نتج عن ذلك تعدد السياقات وتنوعها في خطبه (44).

والمنتبج في خطب النبي - عليه الصلاة والسلام - من حيث الأسلوب يجد بأنها خطب قصيرة على وجه العموم، وواضحة في ألفاظها، بعيدة عن الألفاظ الغريبة، وكان يبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ينتقل إلى موضوع الخطبة ويختمها بذكر الله سبحانه، وبذلك يكون الرسول الكريم أن يبتعد عن نمط الخطبة الجاهلية، وتمتاز خطبه بالابتعاد عن السجع، وخلت خطبه من التزييق، كما برئت ألفاظها من الإغراب والتعقيد والاستعراب، فألفاظها جزلة فيها رونق ترتاح إليها الأسماع والأفئدة (45).

ونستنتج مما سبق أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - كان في خطبه لِين الكلام، ينتقي أفضل الألفاظ، ويختار أحسن الجمل، ويتجنب الكلام الفاحش، ويبتعد عن الألفاظ البذيئة السيئة، محتكمًا في ذلك إلى عقله المتزن وإيمانه القوي، وبالتالي حقق نجاحًا مبهرًا لدعوته الإسلامية التي أخرجت به البشرية من جور الأديان إلى عدل الإسلام.

**الخبر:**

(41) ينظر: الرفاعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط9، 1973م، ص282-283.

(42) ينظر: حجازي، أحمد عارف، دراسات لسانية في الحديث النبوي، دار فرحة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2015م، ص 29-30.

(43) ينظر: حجازي، دراسات لسانية في الحديث النبوي، ص31.

(44) ينظر: مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾، ج1، رقم 208، ص193.

(45) ينظر: ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، ط9، (د.ت)، ص57.

لقد تعددت تعريفات الخبر عند علماء العربية، في مؤلفاتهم، وتباينت آراؤهم، ولكن معظم هذه التعريفات تتفق في (معيار الصدق والكذب)، وقد عرفه بذلك السكاكي بقوله: "الخبر هو الكلام المحتمل للصدق والكذب"<sup>(46)</sup>. أما ابن فارس فذهب إلى القول أن "الخبر هو ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه"<sup>(47)</sup>.

وقد عرفه صحراوي بقوله: "الخطاب التواصلي المكتمل إفادياً، والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تطابق نسبته الخارجية"<sup>(48)</sup>. والجملية الخبرية تنقسم إلى قسمين هما: الجملة الفعلية سواء أكانت مثبتة أم منفية، وهي تقيد التجدد والحدوث في زمن معين، نحو: يشارك الطلبة الآن في مسابقة أدبية. وقد تقيد التجدد والاستمرار، نحو: وتأتي على قدر الكرام المكارم. والجملة الاسمية سواء أكانت منفية أم مثبتة فهي تقيد تأصيل وصفها أي بثبوت شيء لشيء من غير ارتباط بزمن معين، نحو: مركز دراسات المرأة في الجامعة الأردنية متخصص في شؤون المرأة وقضاياها على المستويين: المحلي والإقليمي. ويُلَقَى الخبر لأحد غرضين هما: إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته العبارة أو الجملة. ويسمى ذلك "فائدة الخبر" وفيه يتصور المتكلم أن المخاطب يكون خالي الذهن من العلم الذي يقوم إليه، فلم يعمل ذهنه بمعرفته، ولم يكن له موقف نحوه، فالمتكلم يقوم له شيئاً جديداً يفيد به. أي يفيد السامع بما كان يجهله<sup>(49)</sup>. كقوله تعالى: "تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً"<sup>(50)</sup>. ومثال ذلك قول المتنبي في مدح سيف الدولة:

تدوس بك الخيل الوكور على الدُّرَا  
وقد كثرت حول الوكور المطاعم<sup>(51)</sup>

وإفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم، أو أن المتكلم يعرف المعلومات التي تضمنتها الجملة الخبرية<sup>(52)</sup>. ويسمى ذلك "لازم الفائدة" وفي ذلك يقول القزويني: "من المعلوم بكل عاقل أن قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب أما نفس الحكم لقولك: "زيدٌ قائم" لمن لا يعلم أنه قائم، ويسمى هذا فائدة الخبر، وإما كون المخبر عالماً بالحكم لقولك لمن زيدٌ عنده ولا يعلم أنك تعلم ذلك "زيدٌ عندك" ويسمى هذا لازم فائدة الخبر<sup>(53)</sup>. وقد يخرج الخبر عن معانٍ وأغراض أخرى مختلفة باختلاف المقامات التي يرد فيها تُعرف من السياق، منها:

التعجب: نحو قولك: "ما أجمل الصدق".

التعظيم: نحو قولك: "سبحان الله العظيم".

الدعاء والطلب: نحو: "سامحه الله وغفر له".

الأمر: نحو قوله تعالى: "والمطلقات يتربصن".

النهي: نحو قولك: "لا تقرب الصلاة دون وضوء".

النفي: نحو قولك: "لا بأس عليك".

التمني: نحو قولك: "أحببتك رجلاً شهماً".

46) السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2000م، ص 164.

47) ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ص 133.

48) صحراوي، مسعود، التداولية عند علماء العرب، ص 81 - 82.

49) ينظر: جمعه، حسين، جمالية الخبر والإنشاء دراسة بلاغية جمالية نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د)، ط، 2005م، ص 50.

50) سورة الفرقان: آية(1).

51) المتنبي، ابو الطيب، أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، 1983م، ص 388.

52) ينظر: محمد، عاكف فضل، البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2001، ص 66.

53) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 27.

كثيرًا ما يراعي المتكلم، وهو يلقي الخبر، أحوال المخاطب ومقامه، حتى يكون كلامه مطابقًا لمقتضى الحال، فمقام المنكر يختلف عن مقام الشاك المتردد، وهذا يختلف عن خالي الذهن الذي لا شك ولا تردد عنده، وقد ميزت البلاغة العربية بين ثلاثة أنواع للخبر، هي<sup>(54)</sup>: **الخبر الابتدائي**:

يعدّ الخبر الابتدائي ضربًا من أضرب الجملة الخبرية. ويكون المخاطب في هذا الضرب خالي الذهن من الحكم، ولا يوجد في نفسه شك أو تردد فيما ألقى إليه من خبر، وفي هذا الحال يلقي إليه الخبر خاليًا من أدوات التوكيد<sup>(55)</sup>.

ويقصد به الخبر الذي يوجه إلى السامع دون علم أو دراية شيئًا عن الخبر، ولا يحتاج إلى مؤكّدات؛ لأن السامع خالي الذهن تمامًا فينبغي إلقاء الخبر إليه دون مؤكّدات. يقول السكاكي في هذا النوع: "فإن اندفع في الكلام مخبرًا لزم أن يكون قصده في حكمه بالمسند للمسند إليه في خبره ذلك، إفادته للمخاطب متعاطيًا مناطها بقدر الافتقار فإذا ألقى الجملة الخبرية إلى من هو خالي الذهن عما يلقي إليه، ليحضر طرفها عنده، وينتقش في ذهنه استناد أحدهما إلى الآخر ثبوتًا أو انتفاء، كفى في ذلك الانتقاش حكمه، ويتمكن لمصادفته إياه خاليًا فتستغني الجمل عن مؤكّدات، ويسمى هذا النوع من الخبر ابتدائيًا<sup>(56)</sup>. وقد استخدم الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذه الجمل كثيرًا في خطبه حتى كادت تمتلئ بها، ومن هذه الجمل قوله عليه السلام: "يا أصحاباه، فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد، فاجتمعوا إليه<sup>(57)</sup>. فالجملتان (فقالوا) و(فاجتمعوا إليه). هنا خاليتان من المؤكّدات فالجملة فعلية مثبتة، ويفيد الفعل هنا الإقرار أي يُقرّ أمرًا. وكذلك الأمر: "أخبرتكم"<sup>(58)</sup> خبر ابتدائي خالٍ من المؤكّدات. وقوله عليه السلام: "قالوا: ما جر بنا عليك كذبًا"<sup>(59)</sup>، فهذا الضرب خبري ابتدائي؛ لأن المخاطب خالي الذهن من الحكم فهو جملة فعلية، لكنها منفية بأداة النفي (ما).

وقوله عليه السلام: "لا يخيظ شوكتها، ولا يحضر شجرها، ولا يلتقط ساقطها إلا منشد"<sup>(60)</sup>.

وقوله عليه السلام: "بين يدي عذاب شديد"<sup>(61)</sup>، جاء هذا الضرب خبري ابتدائي فهو جملة اسمية مثبتة خالية من المؤكّدات، ففي هذه الجملة إخبار وإقرار للأمر وتأكيده.

وقد كان هذا الضرب الأكثر ورودًا في خطب الرسول - عليه السلام - من بين الجمل الخبرية والإنشائية.

#### **الخبر الطلبي:**

وهو ما يحتاج متلقيه إلى تأكيد من قائله بأحد أدوات التأكيد، مثل: إن الابتداء، واللام وغيرها حتى يقضي على حيرة المتلقي وشكّه، وفي هذا الضرب يكون المتلقي حائرًا ومترددًا في قبول الخبر مما يستلزم من المتكلم استعمال أدوات التوكيد؛ لتوكيد خبره وإقناع المستمع. و يقول السكاكي في هذا الشأن: "وإذا ألّفها إلى طالب لها، متحير طرفها عنده دون الإسناد، فهو منه بين بين لينقذه من ورطة الحيرة استحسّن إدخال اللام أو إن"<sup>(62)</sup>. والمقصود بالخبر الطلبي هو ذلك الخبر الذي يوجه إلى المخاطب، ويقوم المخاطب بإنكاره ولا يعترف به، مما

54) يُنظر: السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، ص171.

55) يُنظر: عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للطباعة والنشر، عمان، ط9، 2004م، ص116.

56) السكاكي، مفتاح العلوم، ص258.

57) مسلم، حديث 208، ح1، ص193.

58) مسلم، حديث 208، ح1، ص193.

59) مسلم، حديث 208، ح1، ص193.

60) مسلم، حديث 1355، ح989/2، وينظر: حديث 1831، ح1461/3.

61) مسلم، حديث 208، ص153.

62) السكاكي، مفتاح العلوم، ص17.

يستدعي من المخاطب تأكيد كلامه بأدوات التوكيد، وذلك حسب درجة الإنكار، وفي هذا يقول القزويني: "وإن كان حاكمًا بخلافه وجب توكيده بحسب الإنكار"<sup>(63)</sup>. وقد جاءت هذه المؤكدات؛ لأن المخاطب الذي يلقي إليه الخبر يكون مترددًا حائرًا، فالخبر يؤكد لإزالة الشك والتردد والإنكار. ولا بد لدارس البلاغة أن يعرف أدوات التوكيد؛ ليستعملها عند الحاجة، وهذه الأدوات هي: "إن، أن، لام الابتداء، وضمير الفصل، والقسم، وإما الشرطية، وحرفا التنبيه (ألا وأما)، والحروف الزائدة مثل الباء، وقد قبل الفعل الماضي للتحقيق، والسين وسوف، ونونا التوكيد الثقيلة والخفيفة..."<sup>(64)</sup>.

### الخبر الإنكاري

هو الخبر الذي يتطلب مقامه تأكيد الكلام نتيجة إنكار السامع له وفي ذلك يقول السكاكي: "وإذا ألقاها إلى حاكم فيها بخلافه، ليرده إلى حكم نفسه. استوجب حكمه ليترجح تأكيدًا بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في اعتقاده..."<sup>(65)</sup>، فقد ينكر المتلقي الخبر، وقد يبالغ في إنكاره، فيجب استعمال المزيد من المؤكدات، وذلك حسب درجة الإنكار عند المتلقي حتى يزول إنكاره للخبر تمامًا. ففي هذا النوع نستعمل أكثر من مؤكد. إذن فالمقصود به هو ذلك الخبر الذي يوجه إلى المخاطب، ويقوم المخاطب بإنكاره، ولا يعترف به مما يستدعي من المخاطب تأكيد كلامه بأكثر من مؤكد، وذلك حسب إنكار المستمع وبذلك يقول القزويني: "وإن كان حاكمًا بخلافه وجب توكيده بحسب الإنكار"<sup>(66)</sup>.

وقد ورد هذا النوع في خطب النبي بكثرة<sup>(67)</sup>. ومن الأمثلة على ذلك: قوله عليه السلام: "ألا وإني ساعتي هذه حرام"<sup>(68)</sup>، وقوله: "ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي"<sup>(69)</sup>.

فهذه الأمثلة جاءت مؤكدة بمؤكدين وهما: ألا للتنبيه وإن التوكيدية ودليل على درجة قوة الإنكار عند المخاطب، ونلاحظ من خلال ما سبق أن أسلوب القول في خطب النبي - عليه السلام - جاء منسقًا مع حال المخاطب، فكلامه - عليه السلام - يناسب المقام. فالمؤكدات كثيرة إنما جاء بها النبي - عليه السلام - في القول؛ لأن هناك حاجة ماسة لها من أجل توكيد الأمور.

ونلاحظ من خلال ما سبق أن الجمل الخبرية تختلف بحسب اختلاف درجة الغرض وشدته الذي تتضمنه. وبالتالي تختلف معانيها باختلاف السياق الذي ترد فيه. وقد استخدم الرسول - عليه السلام - هذه الأدوات كثيرًا في خطبه وسنقوم بدراسة كل أداة من أدوات التوكيد على حدة؛ لبيان مدى استعمال الرسول - عليه السلام - لها وأهميتها وفائدتها في خطبه عليه السلام.

إن:

(63) القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 28.  
(64) نحلة، محمود، البلاغة العربية علم المعاني، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، (د. ط)، 2002م، ص 45-47.

(65) السكاكي، مفتاح العلوم، ص 258.

(66) القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 28.

(67) ينظر: مسلم، حديث 1917، ج 3/1522، وحديث 249، ج 1/218، وحديث 2942، ج 4/2262، وحديث 2865، ج 4/2197، والبخاري، حديث 4337، ج 5/160، وحديث 600، ج 1/123، وحديث 2526، ج 8/109، وحديث 112، ج 1/33.

(68) مسلم، حديث 1355، ج 2/989.

(69) مسلم، حديث 1917، ج 1/1522.

تعد الأداة (إن) هي الأصل في التوكيد، ولها معانٍ عدة يستفاد منها غير التوكيد، وقد استعمل الرسول -صلى الله عليه وسلم- هذه الأداة كثيرًا في خطبه وأحاديثه ومن ذلك قوله عليه السلام: "إنَّ خيالًا تخرج بسفح هذا الجبل" (70)، هذه الجملة تحتوي على ضرب خبري طلبى؛ لأنها مؤكدة بمؤكد واحد (إنَّ) وهذا المؤكد يفيد التوكيد والتوثيق. وقوله عليه السلام: "فإنِّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد" (71).

جاءت هذه الجملة مؤكدة بمؤكد واحد وهو (إن) والبلاغة في استخدام (إن) في هذا الموضع إنها جاءت عقب جملة سابقة، فقد كان مجيئها ضربًا من ضروب التوثيق بين الجملتين، وفي ذلك يقول الزملاوي: "وتجيء (إن) للربط بين جملتين؛ لتوصيل إحداها بالأخرى، فتراهما بعد دخولها كأنهما قد أفرغا في قالب واحد" (72). ويرى الزملاوي أنه يسع المتكلم أن يأتي بالفاء مكان (إن)، ولكن لا تؤدي مؤداها من قوة الربط والتوكيد والامتزاج يقول: "أيت الامتزاج والألف مقاصدًا كما كان عليه" (73). وكذلك الأمر قوله عليه السلام: "إنَّ الله فرض عليكم الحج" (74). فهذه الجملة مؤكدة بمؤكد واحد (إن). وقد استخدم الرسول أداة توكيد واحدة ضمن العبارة لحسم الشك والتردد. ومن الجمل على هذا الضرب كثيرة جدًا في خطب النبي عليه السلام (75).

وقد استخدم الرسول - عليه السلام - (أن) مفتوحة الهمزة، نحو: " فرثينا أنه ينزل عليه" (76). فهذه العبارة أبلغ من أن يُقال " فرثينا أن ينزله عليه ". إنَّ طريقة توكيد هذه العبارات يكون بأداة التوكيد (إنَّ، أن) وهاتان الأداتان تختصان بالجملة الإسمية. ومن قوله عليه السلام: " وأنَّ الله أمرني أن أحرق" (77).

#### ضمير الفصل:

أما ضمير الفصل الذي يعدّ من أدوات التوكيد، فهو من الضمائر كما عرفنا في علم النحو. وهي من أنواع المعارف، لكن ضمير الفصل ليس اسمًا، وإنما هو حرف عند النحويين. وسمي هذا بضمير الفصل؛ لأنه يفصل بين المبتدأ والخبر، وقد كان ورود هذا الضمير قليلًا في خطب النبي - عليه السلام - ومن الأمثلة عليه نحو: "ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى فيه المسكين" (78)، وقوله عليه السلام: "وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعًا" (79). وقد يفيد ضمير الفصل هنا التأكيد والاختصاص.

(70) مسلم، صحيح مسلم، حديث 208، ج 1/194.

(71) المصدر نفسه، والحديث نفسه.

(72) الزملاوي، البرهان الكاشف في اعجاز القرآن، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، إحياء التراث الإسلامي، ص 9.

(73) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(74) مسلم، حديث 1737، ج 2/975. الترمذي حديث 2032 ج 4/378. والبخاري، حديث 5861، ج 7/155. والترمذي، حديث 1486 ج 3/130. ومسلم، حديث 179، ج 1/161. والبخاري حديث 5066 ج 7/3. والترمذي حديث 323 ج 5/368. مسلم حديث 2942 ج 4/2262. والبخاري، حديث 6526 ج 8/109. والبخاري، حديث 6526 ج 8/109. ومسلم حديث 2865 ج 4/2197.

(75) يُنظر: مسلم، حديث رقم 208 ج 1/194، وحديث 1355، ج 2/989، وحديث رقم 1461، وحديث 1831 ج 3/1461 وصحيح البخاري، حديث 4337، ج 5/160، صحيح مسلم، حديث 249 ج 1/218، وأبو داود، سنن أبي داود، حديث رقم 4012 ج 6/130. ومسلم، حديث رقم 426 ج 1/320، ومسلم، حديث 1844 ج 2/1472. ومسلم، حديث رقم 1052 ج 2/727. والترمذي، حديث 2165 ج 4/465.

(76) مسلم، صحيح مسلم، حديث 1052، ج 2/727.

(77) مسلم، حديث 2865، ج 4/2197.

(78) مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم 1052، ج 2/727.

(79) المصدر نفسه، حديث 2865، ج 4/2197.

#### القسم:

يُعدّ القسم من أدوات التوكيد، وقد اشترك في الجملة الخبرية والجملة الإنشائية، ولكن ما يقصد به الجملة الخبرية هو جواب القسم، وقد ورد في خطب النبي عليه السلام، نحو: "أما والله لو شئتم قلتكم"<sup>(80)</sup>. فجملة "لو شئتم قلتكم" جواب القسم، وهي خبر ابتدائي. وقوله عليه السلام: "والذي نفس محمد بيده لا ينال أحدٌ منكم منها شيئاً"<sup>(81)</sup>. فجملة "لا ينال أحدٌ..." جواب القسم وهي خبري ابتدائي يفيد التقرير والإخبار.

#### التنبيه:

تعدّ ألا من أدوات الاستفتاح، وهي حرف للتنبيه، وقد تفيد تحقيق ما بعدها. وهذا الحرف عند علماء النحو مركب من (الهمزة) و(لا) النافية. والهمزة إذا دخلت على النفي تفيد التحقيق<sup>(82)</sup>. وقد أكثر الرسول-عليه السلام- من استعمال هذه الأداة في خطبه منها:

قوله: "ألا إنَّ القوة الرمي، ألا إنَّ القوة الرمي، ألا إنَّ القوة الرمي"<sup>(83)</sup> وهذا كثيرٌ في خطبه<sup>(84)</sup>.

جاءت الأداة ألا في العبارات السابقة تفيد التحقيق والتوكيد، فهذه الأداة تدخل على الجملة الفعلية كما تدخل على الجملة الاسمية، لكن لم ترد في خطب النبي- عليه السلام - التي بين أيدينا في حدود ما أعلم. أما الأداة (أما) فقد اختلف علماء العربية في تركيبها، وهي حرف استفتاح للتنبيه يفيد التوكيد وقد تنصدر (أما) القسم في بعض الأحيان كقول الرسول-عليه السلام-: "أما والله لو شئتم قلتكم"<sup>(85)</sup>. وتأتي أيضًا من غير القسم وهذا ورد كثيرًا في خطب النبي- عليه السلام-. إن هاتين الأداةين تفيدان التوكيد في كلتا الحالتين.

(80) يُنظر: البخاري، حديث 4337 ج 160/5.

(81) المصدر نفسه، حديث7174، ج 71/9، ويُنظر: مسلم، حديث 426، ج 320/1، وحديث 1844، ج 472/2، وحديث 2942 ج 2262/4، وحديث 2865، 2197/4.

(82) يُنظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د، ط)، 2001م، ج 430/2، والمرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قياوه، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (ط، 2)، 1993م، ص 381 وما بعدها، وابن هشام، حفني اللبيب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار العكر، بيروت، لبنان، (ط، 3)، 1972م، ص 96.

(83) يُنظر: مسلم، حديث 1917، ج 1522/1، 2865، ج 2197/4.

(84) يُنظر: البخاري، حديث 212، ج 33/1، وحديث 6526، ج 8، ص 109.

(85) يُنظر: البخاري، حديث4337، ج 160/5، ومسلم، حديث208 ج 194/1، وحديث2942، ج 2262/4، الترمذي، حديث323، ج 368/5.

قد:

من المتعارف عليه أن (قد) عند النحاة حرف لا يدخل إلا على الفعل، فهي تدخل على الفعل الماضي والمضارع، فإذا دخلت على الفعل الماضي فتكون للتحقيق، وبهذه الحالة تكون (قد) للتوكيد أو التقريب. أما إذا دخلت على الفعل المضارع فتكون للتقليل والتشكيك أو التكثر<sup>(86)</sup>.

والذي يهمنا مما ذكره البلاغيون هو أن (قد) تكون للتوكيد إذا قصد منها تحقيق الفعل الذي دخلت عليه. فهذا الذي يهمنا (قد) التي تفيد التحقيق والتوكيد. وقد استعمل -الرسول عليه السلام- هذه الأداة كثيراً في خطبه، منها: قوله عليه السلام: "إنّ الناس قد صلوا ثم رقدوا"<sup>(87)</sup>. إن الناظر للأداة (قد) في خطب النبي -عليه السلام- يجدها دخلت على الفعل الماضي، وقد أفادت هذه الأداة التحقيق والتوكيد للماضي.

السين وسوف:

يختص حرف (السين) و(سوف) بالفعل المضارع، وهما حرفان للاستقبال، أي مع الفعل يصبح مستقبلاً، فالسين تدل على الزمن القريب ويسمونه علماء النحو التنقيص، أما (سوف) فتدل على الزمن البعيد، ويسمونه التسوييف، وكلاهما للتوكيد إذا دخلتا على مضارع فيه الوعد والوعيد.

والدارس لخطب النبي -عليه السلام- يجد أن النبي -عليه السلام- قد استعمل حرف السين في خطبه، وذلك؛ لأن حرف السين هو للزمن القريب فيه معنى القرب، ولكن كان استعماله عليه السلام لهذا الحرف قليلاً، ومن الأمثلة عليه قوله عليه السلام: "أما لا فسترون بعدي أثره فاصبروا"<sup>(88)</sup>. فدخل حرف السين في هذه العبارة على مضارعه في استعمالها الوعد والوعيد، فكان للتوكيد.

الأفعال الكلامية في الجملة الخبرية

إن الخطب النبوية هي خطب تأثيرية، تؤثر في نفوس الناس وإرشادهم ونصحهم في اتباع الدين الإسلامي المستقيم، فمعاني الكلمات في الخطب النبوية، لا نفهمها إلا من خلال السياق، وهذا ما يتجسد في نظرية أفعال الكلام، وحسب تقسيمات سيرل للأفعال الكلامية، وهي الإخباريات والإنجازيات والتأثيرات نجد لهذا صداً في خطب النبي - عليه السلام - ومن هذا المنطلق، سيجاول الباحث الاعتماد على بعض آليات التحليل التداولي، وتطبيقها على الخطب النبوية، وذلك عن طريق التركيز على دراسة الأفعال الكلامية في هذه الخطب وما تحملها من معانٍ، تختلف بحسب اختلاف المقامات ودرجة تأثيرها في المتلقي أو السامع أثناء العملية التبليغية.

الإخباريات التقريرية

تعد الأفعال الإخبارية أو الإثباتية التقريرية عنصراً أساسياً في تقسيمه للأفعال الكلامية، وهي التي تختص بنقل المتكلم لأحواله وأخباره عن طريق تركيزه على قضية ما، فهي إذن "أن نقدم الخبر بوصفه تمثيلاً لحالة موجودة في العالم"<sup>(89)</sup>. ويكون ذات صيغة صادقة، أو كاذبة، وهذا ما يؤكد محمود نحلة بأن الغرض منه هو نقل

<sup>(86)</sup> ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ص231، والمرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص255.

<sup>(87)</sup> يُنظر، البخاري، حديث 600، ج 1/ 123، و حديث 6362، ج77/8، وحديث 6944، ج 9/ 20، ومسلم، حديث 249، ج 1/ 218، وحديث 942، ج 4/ 2262، حديث 1831، ج 3/ 1461.

<sup>(88)</sup> ينظر: البخاري، حديث 4337، ج 5/ 160.

<sup>(89)</sup> سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006،

المتكلم ظاهرة من خلال قضية تجعله مسؤولاً عما يقول، أي تلك الأقوال التي تخبر وتبقى في الصيغة اللغوية، وخاضعة لمعيار الصدق والكذب، وتكون المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم<sup>(90)</sup>.

ومن هذا النوع من الأفعال الكلامية في خطب النبي - عليه السلام - قوله عليه السلام: "إن الله حيي ستير يحب الحياء"<sup>(91)</sup>.

**الفعل الكلامي:** يحب ويتكون من:

**فعل إسنادي:** جملة فعلية مكونة من محمول (الفعل يحب) وموضوعه فاعل مستتر وهو الله عز وجل، والمفعول به (الحياء).

**فعل إحالي:** إحالة إلى الذات الإلهية بالضمير المستتر في الفعل (يحب) (هو).

فعل دلالي يتكون من القضية، وتتمثل في حب الله للحياء، وتشتمل على:

الاقتضاء: اقتضاء الحياء والالتزام به.

استلزام منطقي: إخبار الناس بأن الله حي ستير يحب الحياء.

**فعل إنجازي:** ويتمثل في الجملة الفعلية الخبرية التي تتكون حمولتها الدلالية من:

قوة إنجازية حرفية: هي تبليغ المخاطبين بأن الله يحب الحياء. وقوة إنجازية مستلزمة تقرير حب الناس للحياء ووصف الواقع.

وقوله عليه السلام: "فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء"<sup>(92)</sup>.

**الفعل الكلامي،** يأتون ويتكون من:

**فعل إسنادي:** يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول الفعل (يأتون) وموضوعه الفاعل المتصل (واو الجماعة) يعود على إخوان رسول الله الذين لم يأتوا بعد وليس أصحابه.

**فعل إحالي:** إحالة إلى إخوان رسول الله عن طريق الإشارة إليهم بالضمير المتصل (واو الجماعة).

**فعل دلالي:** ويتكون من القضية وتتمثل في بيان إخوان رسول الله، وهم الذين لم يأتوا بعد، وتشتمل على:

الاقتضاء معرفة إخوان رسول الله.

استلزام منطقي: التقريب بين إخوان رسول الله وأصحابه في الجملة الفعلية (يأتون).

فعل إنجازي: ويتمثل في الجملة الفعلية الخبرية التي تتكون حمولتها الدلالية من قوة إنجازية وتتمثل في وصف حال إخوة رسول الله، وهم غرٌ محجلين، ويتضح من سياق هذا الكلام الصريح المباشر أنها جاءت لتقرير واقع إخوان رسول الله الذين لم يأتوا بعد، وهم غرٌ محجلين يوم القيامة من كثرة العبادة، ففي هذه العبارة تقرير للأمر، ووصف للواقع.

وقوله عليه السلام: "إن الناس قد صلوا ثم رقدوا، وإنكم لم تزالوا في صلاة ما انتظرتهم الصلاة"<sup>(93)</sup>.

**الفعل الكلامي:** صلوا، رقدوا، تزالوا، انتظرتهم

**الفعل الإسنادي** ويتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول الفعل (صلوا) وموضوعه الفاعل المتصل (واو الجماعة) الدال على الناس، ويمكن أن نقول بأن الضمير المضممر (هم) يدل عليهم أيضًا.

<sup>90</sup> ينظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص78.

<sup>91</sup> أبو داود، سليمان الحافظ، سنن أبي داود، تح: شعيب الأرنؤوط- محمد كامل قروبلي، الإدارة العامة، دمشق، ط1، 2009م، حديث 4012، ج6/130.

<sup>92</sup> مسلم، حديث 249، ج1/218.

<sup>93</sup> البخاري، حديث 600، ج1/123.

**فعل إحالي:** إحالة إلى الناس عن طريق الإشارة إليهم بالضمير المتصل (واو الجماعة). فعل دلالي ويتكون، من القضية التي تتمثل في ذكر الإنتهاء من الصلاة، وتتشكل القضية من:

**الاقتضاء:** اقتضاء انتهاء الناس من الصلاة.

**استلزام منطقي:** وجوب الانتهاء من الصلاة

**فعل إنجازي:** ويتكون من:

قوة إنجازية حرفية تتمثل في الإخبار وتقرير ووصف الواقع. وقوة إنجازية مستلزمة وهي التأكيد على بيان أن الناس قد صلوا ووقفوا وانتهوا من الصلاة، وانتم ما زلتهم في الصلاة.

وقوله عليه السلام: "إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على ما يعلمه خيراً لهم وينذرهم ما يعلمه شرّاً لهم"<sup>(94)</sup>.

**الفعل الكلامي:** (يدل، يعلمه، ينذرهم) ويتكون من:

**فعل إسنادي:** يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من (يدل) وموضوعه الفاعل المستتر هو يعود على (نبي).

**فعل إحالي:** إحالة إلى (نبي) عن طريق الإشارة إليه بالضمير المستتر (هو) نبي، والضمير المتصل في الهاء في (أتمه).

**فعل دلالي:** يتكون من القضية التي تتمثل في التأكيد على بيان ما يعلمه من خير للناس وتتشكل من:

**الاقتضاء:** اقتضاء بيان الخير والشر للناس.

**استلزام منطقي:** بيان الخير والتأكيد عليه، وبيان الشر وإنذارهم لهم.

**فعل إنجازي ويتشكل من قوة إنجازية:** تتمثل في الإخبار وتقرير حقيقة بيان الخير للناس وإعلامهم به.

**وقوة إنجازية مستلزمة:** وهي التأكيد وإقرار الرسول عليه السلام بوجود بيان الخير للناس. والتأكيد عليه، ففي هذه الجملة الفعلية الخبرية تقرير للأمور ووصف الحقائق والواقع.

وقال عليه السلام: "أما لا فسترون بعدي أثره، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله"<sup>(95)</sup>.

**الفعل الكلامي:** فسترون، تلقوا، ويتكون من:

**فعل إسنادي:** جملة فعلية مكونة من محمول فعل (سترون) وموضوعه الفاعل الضمير المتصل (واو الجماعة) الذي يعود على الناس (المخاطبين).

**فعل إحالي:** إحالة إلى (الناس) عن طريق الإشارة إليهم بالضمير المتصل (واو الجماعة).

**فعل دلالي:** ويتكون من القضية، وتتمثل في بيان رؤية الأثر بعد رسول الله، ويشتمل على:

**الاقتضاء:** اقتضاء بيان رؤية الأثر بعد الرسول عليه السلام.

**استلزام منطقي:** وجوب الصبر حتى لقاء الله ورسوله.

**فعل إنجازي:** وتتكون حملته الدلالية من قوة إنجازية حرفية: الإخبار، وتتمثل في إخبار الرسول عن الأثر بعده.

وقوة إنجازية مستلزمة: التأكيد على ذكر بيان أثر الكتاب الذي أراد أن يكتبه الرسول -عليه السلام- للأَنْصار يكون لهم خاصة بعد الرسول فهذه العبارة جاءت مؤكدة بمؤكدتين، هما: (أما، والسين)، وقد أفاد هذان المؤكدان

التوكيد، فهو خبر إنكاري تقريرى إخباري.

فالرسول عليه السلام يقرّ الحقائق ويؤكدّها ويرسخها في الناس.

<sup>94</sup> مسلم، حديث 1844، ج2/1472.

<sup>95</sup> البخاري، حديث 4337، ج5/160.

وقوله عليه السلام: "يا معشر الأنصار، ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا، وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى بيوتكم" (96).

**الفعل الكلامي:** (ترضون، بذهب، تذهبون وتحوزونه) ويتكون من:

**فعل إسنادي:** جملة فعلية مكونة من محمول فعل (ترضون) وموضوعه الفاعل الضمير المتصل (واو الجماعة) العائد على الأنصار.

**فعل إحالي:** إحالة إلى الذين يرضون وهم الأنصار، وذلك عن طريق الإشارة إليهم بالضمير المتصل (واو الجماعة).

**فعل دلالي:** ويتشكل من القضية التي تتمثل في ذهاب الناس بالدنيا وذهاب الأنصار برسول الله - عليه السلام - الرضا بقسمة رسول الله وجعله بحوزتهم - وتتكون القضية من:

**الاقتضاء:** اقتضاء وجوب الرضا بقسمة رسول الله وأخذه إلى بيوت الأنصار.

**استلزام منطقي:** ذهاب الناس بالدنيا، وذهاب الأنصار برسول الله إلى بيوتهم.

**فعل إنجازي:** يتمثل في الجملة الفعلية الخبرية التي تتضمن قوة إنجازية حرفية، وهي الإخبار والتقرير والوصف متضمنة في الحمولة الخبرية، حيث أخبر رسول الله الأنصار بأن حوزتهم رسول الله وبقائه إلى جانبهم أفضل لهم من أن يذهب الناس بالدنيا.

**وقوة إنجازية مستلزمة:** وهي التأكيد على الإخبار بأن الناس يذهبون بالدنيا، والأنصار يحوزون الرسول - عليه السلام - إلى بيوتهم.

إن الجملة الخبرية في الخطب النبوية تحتوي على كثير من الأفعال الكلامية المسماة بالإخباريات أو التقريريات ويصعب تحليلها لكثرتها (97).

وقوله عليه السلام: (لا أملك لك شيئاً قد أبلغتكم) (98)

**الفعل الكلامي (أبلغتكم)،** ويتكون من:

**فعل إسنادي:** يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول الفعل (أبلغتكم) وموضوعه الفاعل الضمير المتصل (التاء)، ويعود على الرسول - عليه السلام - ومن لواحق المفعول به (الكاف) التي تعود على (أحدكم).

**فعل إحالي:** إحالة إلى الرسول - عليه السلام - عن طريق الإسناد إليه بالضمير المتصل (التاء).

<sup>96</sup> البخاري حديث 4337، ج5/160.

<sup>97</sup> ينظر: مسلم، حديث 208، ج1/194، وحديث 1355، ج2/989، وحديث 1831، ج3/1461، وحديث 1917، ج3/1522، وحديث 249، ج1/218، وحديث 426، ج1/320، وحديث 901، ج2/618، وحديث 1737، ج2/975، وحديث 1844، ج2/1472، وحديث 179، ج1/166، وحديث 2531، ج4/1961، وحديث 2942، ج4/2262، وحديث 2865، ج4/2197، وحديث 943، ج2/61، وحديث 1059، ج2/733، وحديث 424، ج1/320، وحديث 4041، ج1/303، وينظر الترمذي، حديث 2165، ج4/465، وحديث 2032، ج4/378، وحديث 1486، ج3/130، وحديث 323، ج5/368، وينظر: أبو داود، حديث 4012، ج6/130، وحديث 666، ج2/8، وينظر البخاري، حديث 7174، ج9/71، وحديث 5861، ج7/155، وحديث 5066، ج7/3، وحديث 6362، ج8/77، وحديث 6526، ج8/109، وحديث 3749، ج5/46، وحديث 4337، ج5/160، وحديث 67، ج1/24، وحديث 86، ج1/28، وحديث 112، ج1/33، وحديث 466، ج1/100، وحديث 540، ج1/114، وحديث 749، ج1/150، وحديث 813، ج1/162، وحديث 922، ج2/10، وحديث 923، ج2/10، وحديث 927، ج2/11، وحديث 955، ج2/17، وحديث 968، ج2/20، وحديث 116، ج2/55، وحديث 1234، ج2/70، وحديث 1343، ج2/91، وحديث 1373، ج2/98، وحديث 1739، ج2/176، وحديث 2798، ج4/17، وحديث 3104، ج4/82، وحديث 7370، ج9/114، وحديث 1694، ج /1320، وحديث 3024، ج4/63، وحديث 6944، ج9/20.

(98) مسلم، حديث 1831، ج3/1461.

**فعل دلالي:** ويتكون من القضية، وتتمثل في بيان أن الرسول قد ذكر له الغلoul وعظمه وعظم أمره، ويشتمل على:

**الاقتضاء:** اقتضاء، ذكر الغلoul وبيانه للناس وإبلاغهم به.

**استلزام منطقي:** وجوب ذكر الغلoul وتعظيمه.

**فعل إنجازي:** ويتمثل في الجملة الفعلية الخبرية التي تتكون حمولتها الدلالية من: **قوة إنجازية حرفية**، وتتمثل في الإخبار. وتتمثل في إخبار الرسول -عليه السلام- الناس بالغلoul وذكره وتعظيم أمره لهم.

**قوة إنجازية مستلزمة:** التأكيد على الإخبار وذكر الغلoul وبيانه وتعظيم أمره للناس وإبلاغهم به.

جاءت هذه العبارة مؤكدة بمؤكد واحد، وهو (قد) الذي جاء بعده فعل ماضٍ، وهنا أفاد هذا الحرف التأكيد، وهو خبر طلبي إخباري تقرير، فالرسول -عليه السلام- لم تكن غايته تقرير الحقائق وتأكيدا فحسب، وإنما لترسيخ بعض القيم من بينها تأكيده على تبيان وتعظيم أمر الغلoul، ويتمثل في الفعل اللغوي المباشر.

**وقوله عليه السلام: (إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحفاً سحفاً) (99)**

**الفعل الكلامي:** (بدلوا)، ويتكون من:

**فعل إسنادي:** ويتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول الفعل (بدلوا)، وموضوعه الفاعل الضمير المتصل (واو الجماعة) العائد على الرجال.

**فعل إحالي:** إحالة إلى الرجال عن طريق الإشارة إليهم بالضمير المتصل (واو الجماعة).

**فعل دلالي:** ويتكون من القضية، وتتمثل في بيان أن هناك رجال يُذادون عن حوض رسول الله، ويشتمل على:

**الاقتضاء:** اقتضاء بيان الرجال الذين يُذادون عن حوض رسول الله.

**استلزام منطقي:** وجوب ذود الرجال عن حوض رسول الله.

**فعل إنجازي:** وتتكون حمولته الدلالية من: **قوة إنجازية حرفية**، وتمثل الإخبار، وهي إخبار الرسول -عليه السلام- عن الرجال الذين يذادون عن حوضه، أي يمنعون من ورود حوض رسول الله أفضل السلام.

**قوة إنجازية مستلزمة:** التأكيد على إخبار الرسول -عليه السلام- الناس بالرجال الذين يُذادون عن حوضه ويمنعون من وروده يوم القيامة؛ لأنهم بدلوا الدين الإسلامي بكفرهم وضلالهم، فهم لم يعبدوا الله، لذلك يخبر الرسول عنهم بأنهم سيذادون ويُبعدون عن حوضه كما يذاد البعير الضال.

وقد جاءت هذه العبارة مؤكدة بمؤكدين، هما: (إنّ، قد)، وجاء بعد (قد) فعل ماضٍ، فأفاد هذا الحرف

التأكيد. وهو خبر إنكاري تقرير.

إن الرسول عليه السلام لم تكن غايته تقرير الحقائق فقط، وإنما ترسيخ بعض الأمور والقيم من بينها تأكيده على بيان أن الذين يعبدون الله سيردون حوض النبي -عليه السلام- يوم القيامة، والذين لم يعبدوه وبدلوا الإسلام بالكفر بعد رسول الله سيذادون عن حوضه كما يذاد البعير الضال.

**وقوله عليه السلام: (أما إنني سأحدثكم فاحبسني عنكم العذاة). (100)**

**الفعل الكلامي:** (سأحدثكم)، وموضوعه الفاعل الضمير المضمّر (أنا)، ويعود على الرسول -عليه السلام- ومن لواحق المفعول به (كم) العائد على أصحاب رسول الله.

(99) مسلم، حديث 249، ج1/218.

(100) الترمذي، محمد بن عيسى بن الضحاك، سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر، ط2، 1978م، حديث 323، ج368/55.

**فعل إحصالي:** إحالة إلى رسول الله بالإشارة إليه عن طريق الضمير المضمَر (أنا).  
**فعل دلالي:** ويتكون من القضية، وتتمثل في بيان إخبار الرسول عليه السلام أصحابه سبب تأخيره عنهم، ويشتمل على: الاقتضاء: اقتضاء ذكر الرسول سبب الحبس عن أصحابه.

**استلزام منطقي:** وجوب ذكر السبب الذي حبس الرسول عن أصحابه وإخبارهم به.  
**فعل إنجزي:** وتتكون حملته الدلالية من:

**قوة إنجزية حرفية، الإخبار، وتتمثل في إخبار الرسول -عليه السلام- أصحابه بالسبب الذي حبسه عنهم.**  
**قوة إنجزية مستلزمة:** التأكيد على الإخبار، وذكر سبب منع الرسول من المجيء إلى أصحابه في الغداة، وهو أن الرسول عليه السلام قد توجساً وصلى ما قدر الله له من الصلاة فنفس في صلاته فاستنقل، وإذا الله عز وجل يكلمه ويسأله عن فيم يختصم الملاً الأعلى؟

لقد جاءت هذه العبارة مؤكدة بثلاثة مؤكّدات، وهي (أما، وإنّ، والسين)، وهذه المؤكّدات أفادت التأكيد، فهو خبر إنكاري تقريري لم تكن غاية الرسول تقرير الحقائق فقط، وإنما ترسيخ بعض الأمور والقيم، من بينها تأكّيده على تبيان أن السبب الذي منعه من المجيء في الغداة إلى أصحابه هو نومه واستنقله في الصلاة حتى رأى الله عز وجل في أحسن صورة، ثم كلمه عز وجل وسأله عن أمور وحقائق.

**وقوله عليه السلام: (ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال)(101)**

**الفعل الكلامي:** (سيجاء)، ويتكون من:

**فعل إسنادي:** ويتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول الفعل (سيجاء)، وموضوعه الفاعل الضمير المضمَر (هو) العائد على (الله).

**فعل إحصالي:** إحالة إلى الله بالإشارة إليه عن طريق الضمير المضمَر (هو).

**فعل دلالي:** ويتكون من القضية، وتتمثل في بيان إخبار الرسول -عليه السلام- أصحابه بأنه سيأتي يوم القيامة برجال من أمة يزجرون في الشمال أي النار، ويشتمل على:

**الاقتضاء:** اقتضاء ذكر الرسول عليه السلام الرجال الذين يُزجرون في الشمال أي النار.

**استلزام منطقي:** وجوب ذكر هؤلاء الرجال الذين يُزجرون في النار، وإخبارهم بهم.

**فعل إنجزي:** وتتكون حملته الدلالية من:

**قوة إنجزية حرفية:** الإخبار والتقرير.

**وقوة إنجزية مستلزمة:** التأكيد على الإخبار عن الرجال الذين يدخلون النار يوم القيامة بسبب ما أحدثوه بعد رسول الله -عليه السلام- بأنهم ارتدوا عن الإسلام.

لقد جاءت هذه العبارة مؤكدة بثلاثة مؤكّدات، هي: (ألا، وإنّ، والسين)، وهذه الأدوات أفادت التأكيد على الفعل اللغوي الكلامي، فهو خبر إنكاري تقريري يُعدّ من الإخباريات، فالرسول عليه السلام لم تكن غايته تقرير الحقائق فقط، وإنما ترسيخ بعض الأمور والقيم، من بينها التأكيد على تبيان أن سبب إدخال الرجال من أمة سيدنا محمد -عليه السلام- النار هو ارتدادهم عن دين الله بعد وفاة الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة.

**وقوله عليه السلام: (ألا، وإنّ أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام)(102)**

**الفعل الكلامي:** (يُكسى)، ويتكون من:

(101) البخاري، حديث 6526، ج8/109.

(102) البخاري، حديث 6526، ج8/109.

**فعل إسنادي:** ويتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول الفعل (يُكسى)، وموضوعه الفاعل الضمير المضمَر (هو) العائد على الله.

**فعل إحالي:** إحالة إلى الله بالإشارة إليه عن طريق الضمير المضمَر (هو).

**فعل دلالي:** ويتكون من القضية، وتتمثل في بيان إخبار الرسول -عليه السلام- الناس بأنه من سيُكسى يوم القيامة من الخلائق، ويشتمل على:

**الاقتضاء:** اقتضاء ذكر الرسول -عليه السلام- من الذي يُكسى أول الخلائق.

**استلزام منطقي:** وجوب بيان من الذي يكسبه الله أول الخلائق.

**فعل إنجازي:** وتتكون حملته الدلالية من: **قوة إنجازية حرفية:** الإخبار والتقرير.

**قوة إنجازية مستلزمة:** التأكيد على الإخبار بأن أول من يكسبه الله يوم القيامة هو سيدنا إبراهيم عليه السلام.

وذلك لأن الناس تُحشر يوم القيامة حفاة عراة كما بدأنا أول خلق نعيده، لقد جاءت هذه العبارة مؤكدة بمؤكدين هما: (ألا، إن) وهاتان الأدوات أفادتتا التأكيد على الفعل الكلامي، فنوع هذه الجملة خبري إنكاري تقريري يُعدّ من الإخباريات.

والرسول عليه السلام هنا لم تكن غايته تقرير الحقائق فقط، وإنما ترسيخ بعض الأمور والقيم من بينها

التأكيد على بيان أن أول من يكسى يوم القيامة هو سيدنا إبراهيم عليه السلام. وهذا وعد على الله.

**توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:**

- إنّ الأفعال الكلامية تحمل أغراضاً إنجازية تُفهم عن طريق السياق الكلامي.
- تنوعت الأغراض الإنجازية في الإخباريات في الخطب النبوية.
- تعد الأفعال الإخبارية التقريرية هي الأكثر وروداً وحضوراً في الخطب النبوية.
- تتجسد نظرية الأفعال الكلامية في نظرية الخبر والإنشاء.

## المراجع

1. الإبراهيمي، خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، دار القصبية للنشر، الجزائر، ط2، 2006م.
2. أصبان، إبراهيم، السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة، مجلة الإحياء.
3. أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2000م.
4. أولمان، ستيفين، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، (د.ط)، 1975م.
5. بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشنة، دار الحوار، سوريا، 2007م.
6. بلع، عيد، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، ط1، 2008م.
7. بلقنور، هوارى، أطروحة دكتوراه في اللسانيات، التداوليات النصية مقارنة في فهم الخطاب وتأويله، جامعة وهران، الجزائر، 2009م.
8. بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009م.
9. بوقرة، نعمان، نحو نظرية لسانية لأفعال الكلامية قراءات استكشافية للتفكير التداولي في المدونه اللسانية التراثية، مجله اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع17، 2006م.
10. الترمذي، محمد بن عيسى بن الضحاك، سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكور، ط2، 1978م.
11. توماس، جيني، المعنى في لغة الحوار مدخل إلى البراجماتية (التداولية)، ترجمة: نازك إبراهيم عبد الفتاح، دار الزهراء، الرياض، ط1، 2010م.
12. الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح، عبدالسلام هارون، مؤسسة الخانجي القاهرة، ط3، (د.ت) ح2.
13. حجازي، أحمد عارف، دراسات لسانية في الحديث النبوي، دار فرحة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2015م.
14. جمعه، حسين، جمالية الخبر والإنشاء دراسة بلاغية جمالية نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د، ط)، 2005م.
15. الجوزية، ابن قيم، كتاب الروح، تح: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار علم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1432هـ، م1.
16. أبو داوود، سليمان الحافظ، سنن أبي داوود، تح: شعيب الأرنؤوط- محمد كامل قروبللي، الإدارة العامة، دمشق، ط1، 2009م.
17. دايك، فان، علم النص مدخل متداخل، ترجمة: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، 2001م.
18. الرفاعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ضبط وتحقيق؛ محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة - مصر، 1945م.
19. الرفاعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط9، 1973م.
20. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د، ط)، 2001م.
21. السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هندوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 2000م.

22. سيوييه، الكتاب تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م، ص24.
23. سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006م.
24. الشافعي، محمد إدريس، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، مطبعة الباني الحلبي، مصر، ط1، 1938م.
25. الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004م.
26. الشبيدي، فاطمة، المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، دار نينوي، دمشق، (د.ط)، 2011م.
27. الصبيحي، محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م.
28. صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م.
29. ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، ط9، (د.ت).
30. عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفانها، دار الفرقان للطباعة والنشر، عمان، ط9، 2004م.
31. عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1985م.
32. ابن فارس، الصاحب في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 1997م.
33. فتحي، إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، التعااضدية العمالية، صفاقس، تونس، ط1، 1986م.
34. أبو الفرج، محمد أحمد، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية، (د.ط)، 1996م.
35. القزويني، الخطيب جلال الدين، الأيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (د.ت).
36. المتنبي، أبو الطيب، أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، 1983م.
37. محمد، عاكف فضل، البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2001م.
38. المرادي، بدر الدين حسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992م.
39. مركز سلف للبحوث والدراسات، أوراق علمية33، دلالة السياق مفهومها، الاستدلال بها، الطلبة، الحضرمي أحمد.
40. مسلم، الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1954م.
41. نحلة، محمود، البلاغة العربية علم المعاني، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، (د.ط)، 2002م.
42. ابن هشام، ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، تح: محي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
43. بول، جورج، التداولية، ترجمة: قصي العنابي، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2010م.